

تبعث سنة نبيك تطيب ثوبك بطيب وللدنا تجمع كذا شروط الدين
وعمل العزاء ببغداد والموصل ودمشق، ورثاه ابن المنجم المصري، فقال: [من
المديد]

يا أخلائني وحقكم ما بقي من بعدكم فرح
أي صدر في الزمان لنا بعد صدر الدين ينشرح
وولي مشيخة الرباط بعده صفي الدين إسماعيل.

محمد بن قرا أرسلان^(١)

نور الدين صاحب حصن كيفا الذي أعطاه صلاح الدين أميد، ترك ابنه قطب الدين
سكمان^(٢) صغير، عمره عشر سنين.

أبو طاهر بن عوف^(٣)

مدرس المالكية بالإسكندرية، كان يروي «الموطأ»، وكان شيخاً فاضلاً، صالحاً،
وعمر طويلاً.

السنة الحادية والثمانون وخمس مئة

فيها قطع السلطان الفرات، ونزل على حران سادس عشرين صفر، وكان مظفر
الدين بن زين الدين يكاظه، ويحثه على قصد الجزيرة، ويقول: عندي كل ما تحتاج إليه
من المال والغرامات، وأحمل إليك خمسين ألف دينار. فلما قطع الفرات لم ير شيئاً
من ذلك، وقيل له: قد مال إلى المواصلة، فأرسل إليه يطلب المال، فأنكر، وأشير
على السلطان بحمله إلى قلعة حلب، فراسل السلطان وقال: أنا أنزل عما بيدي من
البلاد، وأخدمك بقية عمري بغير شيء. فاستقر أن ينزل عن قلعة حران والرّها، ويبقى
بيده البلدان، فنزل، ثم أعادهما السلطان إليه في آخر السنة.

(١) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٣٥٣/٤.

(٢) في (ح): ظهير الدين بن سكمان، وهو تحريف، والمثبت مما يأتي ص ٣٠٤ من هذا الجزء.

(٣) هو إسماعيل بن مكّي بن عيسى بن عوف، وله ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ١٢٣-١٢٢/٢١، و«الديباج

المذهب»: ٢٩٢-٢٩٥/١، وفيه وفاته سنة (٥٨١هـ).

وسار السُّلطان، فنزل على المَوْصل وضايقها، وخرج إليه أهلها العوام والخواص، فقَاتلوه، وظهروا عليه، وجاءه الملوك: زين الدين بن زين الدِّين من إزبل، وسنجرشاه صاحب الجزيرة، وعسكر دياربكر، وكان القتال يعمل كل يوم، ويخرج إليه المواصلة عُراة^(١) يقاتلون، فيينا هو على ذلك جاءه الخبر بوفاة شاه أرمن صاحب خِلاط، وجاءته كتب مقدِّمها يطلبونه، فشاور الأمراء، فأشاروا عليه بقضدها لما رأوا أنَّهم لا طمَعَ لهم في المَوْصل، وقالوا: ما تفوت الموصل. فسار إلى خِلاط، وفي مقدِّمته ناصر الدين محمد بن [أسد الدين]^(٢) شيركوه، وتقي الدين عمر، فوصلوا مياًفارقين، وبها الأسد يرنقش مملوك صاحب ماردين^(٣)، فامتنع عليهم، وقال: أنا وصيُّ يتامى أستاذي قُطب الدِّين، وبعد هذا فالأمر للخاتون والدتهم. فأرسل إليها صلاح الدين خادماً، ووعداها أن يتزوَّجها، ويزوج إحدى بناتها بابنه، فأجابته، وسلَّمت إليه مياًفارقين، وأعطاهما الهتَّاخ^(٤)، وأعطى يرنقش جبل جور.

وكان الحاكم على خِلاط الوزير مجد الدين بن الموقِّق، وهو الذي كاتَبَ السُّلطان، فبعث إليه الفقيه عيسى ليكشف الحال، فغالطه، وقال: في القلعة سيف الدين بكتُّمُر وبها ابنة البهلوان زوجة شاه أرمن، وربما جاء البهلوان، فعاد الفقيه عيسى إلى السُّلطان بغير شيء، وجاء البهلوان بعساكر أذربيجان وهمدان والشَّرْق، ونزل قريباً من خِلاط، وراسل السُّلطان يقول: هذه البلاد لابنتي، وهي في القلعة، والمصلحة أن تبقى المودَّة بيننا ودوام الصداقة. فرجع السُّلطان إلى الجزيرة، ورجع البهلوان إلى بلاده بعد أن حمل إليه سيف الدين بكتُّمُر أموالاً [وهدايا]^(٥).

وقال العماد: كان قُطب الدِّين صاحب ماردين قد مات، وبقيت الولاية لابنه الكبير وله عَشْرُ سنين، وكان القائم بتدبيره أسد الدين يرنقش، ومات أيضاً نور الدين صاحب آمد، وتولى ابنه قطب الدين سُكَّمان، فسار السُّلطان إلى مياًفارقين، فعصى عليه

(١) كأنه يريد أنهم يقاتلون بلا دروع، وكان الحر إذ ذاك شديداً، انظر «الروضتين»: ٢٣٠/٣.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ج) و(م) و(ش): «آمد»، وهو تحريف، والمثبت مما يأتي.

(٤) قلعة حصينة في دياربكر قرب ميافارقين. «معجم البلدان»: ٣٩٢/٥.

يرنقش، وكان في المدينة الخاتون ابنة قرا رسلان زوجة قُطب الدِّين سُكَّمان صاحب ماردين، فأحال يرنقش الأمر عليها، فراسلها السُّلطان، فأجابته، وطلبت منه الهتَّاخ ليكون عُشًّا للفراخ، فأعطاها إياه، وأقبل قطب الدين سُكَّمان صاحب آمد إلى خِدمته، فأكرمه، ورَدَّه إلى موضعه، وكان معه وزيره أبو [محمد]^(١) عبد الله بن سماقة.

وولَّى السُّلطان على مِيَّافارقين وديار بكر مملوكه سُنُقُر الخِلاطي، وعاد إلى المَوْصل، وهذه المرة الثالثة وهي الأخيرة، فنزل الإسماعيليات، وقيل: نزل على كُفَر زَمَّار بدجلة، وعَزَمَ على أن يشيَّ بذلك المكان، واستعدَّ المواصلة للحصار، وأشار أمراء عز الدين مسعود عليه بأن يُخرج إليه النِّساء الأتابكيات يشفعن إليه، فخرجن ومعهن والدة عز الدين [مسعود]^(٢)، فأكرمهن ووعدهنَّ الإحسان، ولم يقبل شفاعتهن، وقال: قد جعلتُ عماد الدين زُنكي واسطةً فيما يعود نفعه عليَّ وعليكم. ونَدِمَ على رَدِّهن، وبعث إلى عماد الدين صاحب سنجار في معنى الصُّلح، فقرَّرَه عماد الدين، وخطَبَ للسُّلطان بالمَوْصل، وأعطى شَهْرُزُور والبوازيج، ووقف بها قرية [تعرف]^(٢) بيا فيلا على ورثة شيخ الشيوخ ببغداد، ورحل عن الموصل يريد الجزيرة.

[قال العماد]^(٢): وكان [السُّلطان]^(٢) قد لازم قراءة القرآن في شهر رمضان، واشتدَّ الحر، وأضيف إلى ذلك ندمه على رَدِّ النساء، فمرض مرضاً شديداً، فتناثر شعر رأسه ولحيته، وقيل: إنه سُقي، ووضِعَ ضعفاً خِيفَ عليه منه، وأرجف بموته، وأقام على نَصِييين وقد يئسوا منه، ثم تماثل، فَحَمِلَ في مِحْفَةَ إلى حَرَّان، فنزل ظاهرها، وبنى داراً سمَّها دار العافية.

وقال ابنُ شَدَّاد: سببُ صُلح المواصلة للسُّلطان أنَّهم استنجدوا بالديوان والبهلوان، وأخرجوا النِّساء إليه، فلم ينفعم، فلما مَرَضَ رأوا مرضه فُرصة، وعلموا رِقَّة قلبه، فأرسلوني إليه في هذا الأمر، فلما وصلنا إلى المَخِيْم وجدناه في حد الإياس، فأقمنا حتى تماثل، وأحضرنا يوم عرفة، وحَلَفَ لنا، ودام على يمينه طول عمره^(٣).

(١) ما بين حاصرتين زيادة من «كتاب الروضتين»: ٢٤٦/٣، وانظر ترجمته ص ٣٠٧ من هذا الجزء.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) «النوادر السلطانية»: ٧٠.

قال المصنّف رحمه الله: كان الصُّلح قد تقرّر، وإنما لم يكن السُّلطان حَلَفَ حتى جاءه ابنُ شداد والرَّيب فاستحلفاه، وكان قد شاع أنّ المواصلة دَسُوا عليه من سقاه السُّمَّ، فخافوا، وكان السُّلطان لما يئس من نفسه أوصى إلى أخيه العادل، وجعل مِضْر للعزیز عثمان، ودمشق للأفضل، وحماة لتقي الدّین، وقسم البلاد، ولما برىء وحلّف للمواصلة أرسل إليهم بالهدايا والتُّحف، وجَهَّز عزُّ الدین العساكر في خِدمة السُّلطان إلى الجهاد، ورَدَّ السُّلطان على مظفر الدین حصن الرُّها وقلعة حرّان، وسببه أنه لما طلب منه القلعتين بعث مظفر الدّین نائبه إلى الولاية بالتسليم، فامتنعوا، فقال: قل لهم: بعلامة ما قلت لكم: إن أصابني شيءٌ فلا تسلّموا إلا إلى السُّلطان ولو بقيت له بنت واحدة. فعلم صلاحُ الدّین حُسْنَ نيته ومقصده، فردّهما عليه، وأكرمه.

وجاء تقليدُ الخليفة للسُّلطان بتفويض بلاد الشُّرق وديار بكر إليه، وعليه علامةُ الخليفة بيده، وصورتها: النَّاصر الله. ودخل في هذا التوقيع الموصل وغيرها. وكان المنجّمون بدمشق قد حكموا بأنه تهبُّ رمل مع هواء مزعج يُهلك النَّاس، فحفروا سرداباً وجثوا فيه، وظهر كذبُ المنجمين^(١).

وحج بالنَّاس من العراق طاشتكين.

وفيهما توفي

شاکر بن عبد الله بن محمد^(٢)

أبو اليُسْر التَّنُوخي المعرّي؛ كاتبُ الإنشاء لنور الدین محمود بن زَنكي. ولد سنة ستّ وتسعين وأربع مئة، ونشأ بحماة عند جدّه القاضي أبي المجد محمد ابن عبد الله، وقرأ عليه الأدب، وسمِعَ الحديث من جدّه لأمه أبي عبد الله الحسين بن العجمي بحلب، وكان فاضلاً.

(١) سيأتي نحو هذا الخبر في حوادث سنة (٥٨٢هـ)، وهو الصواب.

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٣٥-٣٧، و«معجم الأدباء»: ١١٦/٣، و«سير أعلام النبلاء»: ١٤٥/٢١، و«الوفاء بالوفيات»: ٨٧-٨٥/١٦، و«فوات الوفيات»: ٩٦/٢، و«الإنصاف والتحري» لابن العديم: ٥٠٤-٥٠٥.

قال العماد الكاتب: تولّى ديوان الإنشاء بالشّام سنين كثيرة لنور الدين، ثم استعفى، وقعد في بيته، ووليت الإنشاء بعده، وتوفّي بدمشق في هذه السنة، ومن شعره: [من الكامل]

أحبّابنا ذهب الزّمان ومالنا من وصلكم حظّ به نتمتع
وتباين العرّضان من أهواه يهه جُرني ومن أشناه لي يتبّع
طاووس حُسن صدّ عني مُعرضاً وغدا يواصلني الغراب الأبقع

عبد الله بن سماقة^(١)

وزير صاحب آمد، كان قد استولى على الأمر، وحسّم موادّ الفساد، فاتفق جماعة من مماليك صاحب آمد على قتله، فجاؤوا إليه وهو جالس في الدّيون، وقالوا: المَلِك يَسْتدعيك. فقام، ودخل دار المَلِك، فقتلوه في الدهليز، وكان الصّلاح أحد الأمراء الأكابر محبوساً، فأخرجوه واثقين به، فقتل الجميع.

عبد السّلام بن يوسف بن محمد^(٢)

أبو الفتح الجُمهوري، كان فاضلاً، ومن شعره: [من الطويل]

على ساكني بطن العقيق سلامٌ وإن أسهروني بالفراق وناموا
حظرتم عليّ النّوم وهو محللٌ وحللتُم التّعذيب وهو حرامٌ
إذا بنتم عن حاجرٍ وحجرتم على الدّمع أن يدنو إليه مُلامٌ
فلا ميّلت ریح الصّبا فرع بانه ولا سجعت فوق العُصون حمامٌ
ولا قهقهت فيه الرّعود ولا بكى على حافتيه بالعشيّ غمامٌ
فمالي وما للدّمع قد بان أهله وقد قوّضت من ساكنيه خيامٌ
ألا ليت شعري هل إلى الرّمّل عودةً وهل لي بتلك البانتين لِمأمٌ

(١) له ذكر في «الروضتين»: ٢٤٦-٢٤٧/٣.

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج ١/٣ ج ٣٠٨-٣٢٢، و«الروضتين»:

٢/٤٢٠-٤٢١، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣٦-٣٧/٣، و«الوافي بالوفيات»: ٤٣٨-٤٣٩، و«وفيات

الوفيات»: ٣٢٦-٣٢٧/٢، و«النجوم الزاهرة»: ٩٩/٦.

ألا يا حمامات الأراك إليكم فمالي في تغريدكن مرام
فوجدي وشوقي مُسعدٌ وموانسٌ ونوحي ودمعي مُظربٌ ومُدامٌ
وكانت وفاته بدمشق.

عصمة الدين خاتون بنت معين الدين أنر^(١)

زوجة السلطان صلاح الدين، كانت قبله زوجة نور الدين محمود، وكانت من أعف النساء وأكرمهن وأحزمهن، ولها صدقات كثيرة وبرٌ عظيم، بنت بدمشق مدرسة لأصحاب أبي حنيفة في حَجَر الذهب [قريبة من حمام أزكش، وتعرف بمدرسة خاتون]^(٢)، وبنت للصوفية رباطاً على الشرف القبلي خارج باب النصر على باناس، وبنت تربة بقاسيون على نهر يزيد، ودُفنت بها، ووقفت على هذه الأماكن أوقافاً كثيرة، وكانت وفاتها في رجب^(٣)، وبلغ السلطان وفاتها وهو مريض بحران، فتزايد مرضه وحزن عليها وتأسف، وكان يصدر عن رأيها.

ومات بعدها^(٤) أخوها سعد الدين مسعود بن أنر^(٥) في هذه السنة، وكان من أكابر الأمراء، زوجه السلطان أخته ربيعة خاتون [لما تزوج أخته الخاتون]^(٦)، فلما توفي زوجها مظفر الدين بن زين الدين.

محمد بن أسد الدين شيركوه^(١)

ناصر الدين، ابن عم صلاح الدين، كان السلطان يخافه لأنه كان يدعي أنه أحق بالملك منه، وكان يبلغ السلطان عنه هذا، وكان قد فارق السلطان من حران، وجاء إلى حمص، وكان زوج ست الشام أخت السلطان، وتوفي بحمص يوم عرفة، وتناثر لحمه، وقيل: إنه سم، وقيل: مات فجأة، فنقلته زوجته ست الشام إلى تربتها [بالعوية

(١) لها ترجمة في «كتاب الروضتين»: ٢٤٣-٢٤٤/٣، و«النجوم الزاهرة»: ٩٩/٦.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في «كتاب الروضتين»: ٢٤٣/٣ في ذي القعدة، نقلاً عن العماد الكاتب.

(٤) وفاته في «الروضتين»: في جمادى الآخرة.

(٥) له ترجمة في «كتاب الروضتين»: ٢٤٦-٢٤٥/٣، و«النجوم الزاهرة»: ٩٩/٦.

(٦) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ١٤٣-١٤٤/٢١، وفيه مصادر ترجمته.

شمالي دمشق^(١)، فدفتته عند أخيها شمس الدولة، ولما بلغ السلطان وفاته أبقى على ولده أسد الدين شيركوه حمص وتدمر والرَّحبة وسَلَمِيَة إقطاع أبيه، وخالَع عليه، وكتب له منشوراً.

السنة الثانية والثمانون وخمس مئة

[^(٢) ذكر محمد ابن القادسي^(٣) في الذيل فقال:] في يوم عاشوراء فُرش الرَّماد في الأسواق، وعلقت المسوح، وناح أهل الكرخ والمختارة، [وبغداد]^(١)، وخرج النساء حاسرات يلظمن وينحن من باب البدرية إلى باب حجرة الخليفة، والخلعُ نفاضٌ عليهنَّ وعلى المُنشدِين من الرجال، وتعدى الأمر إلى سبِّ الصَّحابة: أبي بكر وعمر وعثمان [وطلحة]^(١) والزبير وعائشة رضي الله عنهن، وكان أهل الكرخ يصيحون: ما بقي كتمان، وأقاموا امرأة، يقال [لها]^(١) ابنة قرابا من أهل الكرخ، كان ظهير الدين العطار قد كبَسَ دارَ أبيها، فأخرج منها كُتُباً في سبِّ الصَّحابة، فقطع يديه ورجله، ورجمه العوام حتى قتله، فقامت هذه المرأة على دِكَّةٍ تحت منظره الخليفة في الرِّيحانيين، وحولها ألوفٌ من الرجال والنساء، وهي تنشد أشعار العَوْنِي وغيرها، وتسبُّ عائشة رِضوان الله عليها، وتقول: العنوا راكبة الجَمَل، وتذكر حديث الإفك والنبى صلى الله عليه وآله بأقبح الشَّناعات، [قال:]^(١) وكلُّ ذلك منسوبٌ إلى أستاذ الدَّار ابن الصَّاحب.

وفي هذا الشهر عبَّر صاحب الباب كمال الدين ابن هُبيرة إلى الجانب الغربي في موكبه إلى بُسْتان، وبين يديه أربابُ الدَّولة والسيوف المسلَّلة، فعاد في آخر النهار من يومه ماشياً، مكشوف الرأس، وبين يديه نَقَاط، وقد نُتِفَت لحيته، وعِمَامته في حَلَقه،

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): «قال ابن القادسي»، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) القادسي: هو محمد بن أحمد بن محمد بن علي، القادسي: نسبة إلى القادسية، وهي قرية بين سامراء وبغداد، لاقادسية الكوفة التي كانت فيها الواقعة المشهورة، كان له اعتناء بالتواريخ والحوادث، وصنف كتابين «ذيل المنتظم» - وهو الذي ينقل عنه هنا سبط ابن الجوزي - وقد وصل فيه إلى سنة (٦١٦هـ)، وكتاب «أخبار الوزراء»، وكلا الكتابين لم يصلانا بعد، توفي سنة (٦٣٢هـ) ببغداد.

له ترجمة في «التكملة»: للمنزري ٣/ ١٣١، «وفيات الأعيان»: ١/ ٣٢٩، و«الوفيات بالوفيات»: ١١٧/٢، و«تاريخ الحكماء»: للقفطي، ط ليسك: ص ١١١.